كثرت عندي وعظمت لدي فاقتضت استيفاء انواع الشكر بحيث صارت
يدي ولساني وقلبي لكم فليس في اليد والجوارح الا مكافاتكم وخدمتكم ولا في
اللسان الا ثناؤكم ومحمدتكم ولا في القلب الا نصحكم ومحبتكم وفي وصف
الضمير بالمحجب اشارة الى انهم ملكوا ظاهره وباطنه فهو اي اذا كان
الشكر ما ذكر ظهر ان اعم منهما اي الحمد والمدح من وجه وهو المورد
واخص من وجه اخر وهو المتعلق فبينه وبينهما عموم وخصوص من
وجه ثم لما ورد على جعل النسبة بينه وبينهما العموم من وجه ان النبي
صلى الله عليه وسلم جعل الحمد راس الشكر فيكون جزءه فيكون الحمد اعم
مطلقا منه او مساويا له كما هو شان الجزء وقال ايضا ما شكر الله عبد
لم يحمده وهو ايضا يقتضي عمومه او مساواته لان الاعم من وجه لا يكون جزءا
من الاخص من وجه ولا يلزم من انتفائه انتفاؤه دفعه بقوله ولما كان الحمد
الى اخره من شعب الشكر خبر او حال او صفة اي انواعه عبر عنه بالشعب
لتشعبها عن مقسمها اشيع خبر بعد خبر او خبر اكثر شيوعا وثناء ولا للنعمة
ادل اما من نعمة الا ويمكن التعبير عنها والتحميد بازائها بخلاف العمل في
الاعتقاد وقيل معناه اكثر اشاعة لها واظهارا وهو خلاف الظاهر وادل
على مكانها اي كون النعمة وثبوتها لخفاء الاعتقاد وما في اداب اي اتعاب
الجوارح من الاحتمال فانه وان كان ظاهرا يحتمل خلاف ما قصد به فانك
اذا قمت تعظيما لاحد احتمل القيام لامر اخر اذ لم يتعين للتعظيم واما النطق
فهو الذي يفصح عن كل خفي فلا اخفاء فيه ويجلي كل مشتبه فلا احتمال له
جعل على البناء للمفعول جواب لما راس الشكر اشارة الى الجواب عن السؤال
الاول من السؤال والعمدة فيه اشارة الى الجواب عن السؤال الثاني منه و
بين الجمل بقوله فقال عليه الصلوة والسلام الحمد راس الشكر ما
شكر الله عبد لم يحمده اول الحديث ناظر الى الاول واخره اي الثاني تلخيصه
ان ما ذكرتم انما يلزم اذا كان جعله راسه او نفيه بنفيه حقيقة بل المراد معا انه
مبني على كون الحمد اجل الاقسام وادل الانواع على الانعام فكانه جزؤه بل اشرف

اجزائه حتى

اجزائه حتى اذا فقد كان ما عداه بمنزلة العدم ومن هذا يعلم ايضا وجه
اختيار الحمد ههنا على اخويه وهذا الحديث رواه باسناده الامام البغوي
في اخر سورة بني اسرائيل وقال الطيبي لم يوجد هذا الحديث في الاصول لكن
ذكره ابن الاثير في النهاية حيث قال مستدلا ومنه الحديث والذم نقيض
الحمد اي مقابله فيختص باللسان فان قيل الذم نقيض المدح وانما جعله صاحب
الكشاف نقيض الحمد لقوله بالترادف والمصنف ليس يقابله به فكيف جعله
نقيضه قلنا قد مر ان المدح يطلق على الثناء على الجميل ويقابله الذم
كالحمد وقد يخص بعد المآثر فيقابله الهجاء وعد المثالب ولاتحاد نقيضهما
اقتصر المصنف على ذكر نقيض الحمد وخصه بالذكر لشرفه والكفران نقيض
الشكر لان حقيقة الشكر اظهار النعمة والكشف عنها فنقيضها كفرانها اي
سترها واخفاؤها فيعم الموارد الثلثة ورفعه بالابتداء وخبره لله
توهم بعضهم ان الحمد مرفوع بالجار والمجرور رفع الابتداء على عمل الظرف
وان لم يعتمد وان الفاعل مقدم والتقدير لله الحمد وبعضهم ان المجرور معمول
للمصدر واللام لتقويته كما في قولك اعجبني الحمد لله فذكر ارتفاعه بالابتداء
مع ظهوره ليبين ان الظرف ههنا مستقر وقع خبرا له فيندفع التوهمين ويربط
به بيان اصله بقوله واصله النصب فان المصادر احداث متعلقة بمحالها
كانها يقتضي ان يدل على نسبتها اليها والاصل في بيان النسب والتعلقات
هو الافعال فهذه مناسبة تقتضي ان لا تخلط مع المصادر افعالها الناصبة
لها وقد تايدت هذه المناسبة في مصادر مخصوصة بكثرة استعمالها منصوبة
بافعال مضمرة وقد ذكر هذا التاييد بقوله الاتي وهو من المصادر الى اخره وكان
المناسب ذكرها ههنا كما في الكشاف لكنه اخره وفصل بينهما بما هو من تتمة السابق
والمرتبط به اشد ارتباط لئلا يتوهم ان معنى اصالة النصب كثرة استعمال
المصدر منصوبا بفعل مضمر وايد اصالة النصب بقوله وقد قرا به في الشاذة
وانما عدل عنه الى الرفع اعلم انهم قالوا الاصل حمدت الله حمدا حذف الفعل
لدلالة المصدر عليه وادخل اللام على المفعول وعدل عن النصب الى الرفع وقدم

قوله لا

Copyright © King Saud University